أ. د. جمال الدين تبيدي
عضو هيئة علماء السودان رئيس قسم العقيدة بجامعة ام درمان الاسلامية

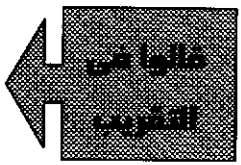

وحدة الامة الاسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة ضرورة (*)

أهنئ نفسي وإياكم بهذه المناسبة الطيبة العطرة، مولد النور، ونحن وكما الاخوة في جميع بقاع هذه المعمورة مبتهجين، وحق لهم أن يفرحوا وكل بفضل الله ورحمته، وبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، ونحن فرحون حقيقة، حق لنا أن نفرح، وهذه الفرحة العظيمة التي نفرحها في هذا المكان الطيب تحت هذا الشعار الطيب، وحدة الأمة الإسلامية أو أسبوع الوحدة الذي تنظمه الملحقية الثقافية لسفارة جمهورية إيران الإسلامية حياهم الله وجزاهم الله خيرا.

حقيقة وحدة الأمة الإسلامية في مواجهة هذه التحديات المعاصرة ضرورة، وأقول: هذه التحديات ليست معاصرة فقط بل هي قديمة، فالشيطان يحاول أن

* - كلمة القيت بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف واسبوع الوحدة الاسلاميةفي احتفال (المستشارية الثقافية لسفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية في الخرطوم) المنعقد في ١٦ من ايار ٢٠٠٣ م المصادف ١٤ ربيع الاول ١٤٢٤هـ .

ينشر منهجه، والصراع بين الحق والباطل قديم، وهو في صوره الحديثة طمع في الأمة الإسلامية أعداءها.

أن الأمة الأن اجتمعت عليها الأكلة – صارت الأمة وجبة شهية لهؤلاء الاكلة الذين تجمعوا من كل حدب وصوب، وعبروا القارات والمحيطات زعماً بأنهم ينزعون أسلحة الدمار الشامل من هذه الأمة، لكن يريدون نزع عقيدتهم، هذه الأمة حق لها أن تجتمع، هي حقيقة أمة واحدة مترابطة كالجسد الواحد شبهت بالجسد الواحد. شبك النبي(ص) بين أصابعه وقال: (إنها كالجسد الواحد كالبنيان المرصوص إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) لماذا لا تجتمع هذه الأمة، ولماذا لا تحيا، ولماذا لا تبقى، ولماذا لا تسود هذه الأمة وهي تحمل المنهاج الرباني منهاج الله سبحانه وتعالى؟ نتحدى أهل الأرض اليوم، من كان عنده منهج هدى فليخرجه لنا، وقد منَّ الله عليَّ بأن عملت مدرساً في بعض بقاع هذه المعمورة، فرأيت الملايين في شبه القارة الهندية يسجدون للبقر ورأيت الملايين في دول الاتحاد السوفيتي يسجدون لاهوائهم، ورأيت غيرهم.وتعرفون غيرهم من من انحرفوا عن الديانة السماوية حتى قالوا عزير أبن الله ، أو قالوا المسيح أبن الله، هؤلاء الملايين يحسدوننا على هذه الهداية التي نفرح بها في مثل هذا اليوم، هذه الأمة مازال كتابها محفوظاً (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) صدق الله العظيم.

كتابنا المحفوظ واحد ليس فيه خلاف – نبي هذه الأمة نبي الرحمة – الرحمة الهداة نبينا واحد، وقبلتنا واحدة وشعائرنا واحدة ودعوتنا وأحدة، وأن هذه الأمة أمتكم واحدة، المسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على ما سواهم ، هذه الأمة التي لا تجتمع على شعوبيةولا تجتمع على عنصرية

ولا تجتمع على لون ولا تجتمع على ما يجتمع عليه أهل الأهواء، هذه الأمة التي تجتمع على هذه الشهادة وهذه الجنسية، فالمسلم جنسيته لا إله إلا الله والمسلم أخو المسلم في كل مكان، يا أخي في الهند أو في المغرب أنا منك وأنت مني ، لا تسأل عن عنصري عن نسبي أنه الإسلام أمي وأبي.

هذه الأمة تنعم بهذا الخير العظيم بالفكر، فالمسلمون هم سادة هذا العالم، المسلمون لا يقدسون حجر ولا بقر ولا شجر ولا يضلون في المعتقد فيعتقدون الرب شخصاً، أو نداء متعصب لشعب من الشعوب أختاره من بين الشعوب ويكره الآخرين كما نطقت بذلك الكتب التي دخلتها أيدي البشر، البشر الذين يكتبون كتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم من ما كتبت أيديهم وويل لهم ما يكسبون. هذا الكتاب يدعو هذا العقل للنظر في الكون ليستدل على وحدانية الخالق، نحن بحمد الله لا نسجد لبقر و لانسجد لحجر ولا نسجد لشجر، ولا نقول أن الرب قد ولد من إنسان ومشى بين الناس، ثم تمكن الإنسان من إزهاق دمه ليغفر للإنسان، فالرب قد مات من أجلي وأجلك أيها الإنسان، من الله علينا بأننا لا نقول بمثل ذاك، هذه الأمة هي التي ينبغي أن تكون هي الأمة القوية المبشرة، فهذه الأمة رسالتها هي رحمة للعالمين، إن كان النبي يبعث في قوم أو يبعث إلى الملك أو يبعث إلى القرية، اذهب إلى فرعون أنه طغى، وإلى مدين أخاه شعيباً وقبلها إلى ثمود أخاهم صالحاً وقبلها إلى عاد اخاه هودا وقبلها ما... ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أخرج قومك أو أنذر قومك في آيات مختلفات، إذا كان النبي يبعث خاصة في أمة في شعب وفي قوم وفي قرية فان سيدنا محمد (ص) هو المنزل عليه، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، هو المنزل

عليه ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا. هو المنزل عليه تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا.

أن سلفنا أيها الاخوة الكرام علموا هذه الحقيقة، فخرجوا بسيوفهم لإنقاذ أولئك الملايين في القارات التي تعلمونها، كما قال قائله عندما سئل من أنتم وماذا تريدون؟ لن يخرجوا بالبوارج لينزعوا عقائد الناس، لينزعوا الهدى منهم، لكن خرجوا لينزعوهم إلى الجنة، إلى الرحمة إلى هذه الرحمة، عندما سئل بعضهم من أنتم ماذا تريدون؟ قالوا نحن قوم إبتعثنا الله فنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، هذه الرحمة أخرجت هذه الأمة وخرج سلفنا الكرام من غير بوارج ودخلوا على الأمم وازالوا الأصنام. فنشأت الأجيال، الأجيال التي تموت الأن بالملايين، إلى النار هذه الأجيال استشعروا الرحمة في تلك الأجيال، فخرجوا إليها وأزالوا الأصنام من فوق رؤسهم وشادوا المساجد فنشأ القرطبي فرفع رأسه ورأى المساجد فخرج مفسرا عالماً لهذه الأمة، من أين خرج؟ خرج من قلب أوربا!!

هذه الأمة هي التي تحمل الإنقاذ إلى العالم أجمع تحمل هذه الرسالة، نحن الان يتكالب علينا الذين غرتهم قوتهم (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) خرجوا إلينا ببوارجهم وبرامجهم، برامج العولمة يظنون أنهم بعد أن امتلكوا القوة التي تخلفنا عنها، نحن أصحاب الرسالة أصحاب النور امتلكوا القوة فخرجوا بها علينا. بل طمعوا ، يخرجوا علينا برامجهم أيضا. فطرحوا نهجهم، نهج العولمة يريدون أن ينقلوا إلينا ثقافاتهم

واخلاقهم واجتماعياتهم وحياتهم التي تعرفونها، أي ثقافة يريدون أن يعملوا بها، أن يستبدلوا بها ثقافتنا، ثقافتنا هي عقيدتنا وصراع الثقافات هو صراع العقائد، لا تظنوا غير ذلك، يريدون أن يخرجوا علينا بثقافاتهم تلك الثقافات، ماذا يحمل إلينا الغرب من عقائد ليستبدل به لا إله إلا الله، ليستبدل هذه المعرفة وهذا التوحيد، ليستبدل به هذه الرحمة، رحمتنا بهواياتهم تلك، خرجوا إلينا بنظمهم، النظم الاجتماعية وليست نظم اجتماعية، وأنتم تعرفون أنه لا يوجد مجتمع على ظهر الأرض، مجتمع طاهر معافى مترابط غير المجتمع الإسلامي، الذي أمر الاسلام فيه بتكوين الأسرة نواة الأمة، وحث على تكوين هذه الأسرة، وحث الشباب على الزواج وعلى تيسيره، كما أمر الزوجين بتربية الأولاد وحسن تربيتهم وتنشئتهم، كما أمر الأبناء بطاعة وبر الوالدين، كما أمر المسلمين ببر الجار والإحسان إليه، كما أمر الأمة أن تجتمع وأن تكون أمة واحدة، لأن الذئب يأكل من الغنم القاصية، الرحمة والتواضع والصدق والأمانة والعفاف والصلة، هذه هي أخلاق هذه الأمة، بماذا يريدون استبدالها؟ اتفاقية السكان وسيداو والتي تدعو إلى ممارسة الشذوذ؟ لتصبح أمتنا هذه نسلا لا يضرى له أحد، يريدون أن تستبدل الأمة هذا العفاف وهذا الصون، أن تستبدل بهذه النسبة التي سمعتهم أن في غرب نسبة الأبناء الغير الشرعيين من بينهم أكثر من ٢٠٪ لماذا يريدون أن يعولونا؟

نظمنا نظم الإسلام في الرحمة والتكافل والصلة، لا أريد أن أخوض في الأمور التي تفضل بذكرها شخينا الأستاذ البروفسور عبد الرحيم علي بأن إيران تعقد مؤتمرات للتقريب بين المذاهب وبين الجماعات، حتى تنهض هذه الأمة إلى قوتها وتستبدل ضعفها بقوتها، هذه الأمة مصدر وحدتها في الرجوع إلى كتابها ، فإن

النبي (ص) قال: أن هذا الكتاب حبل ممدود طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم من تمسك به نجا، فعصمت هذه الامة، وحدة هذه الأمة ونجاة هذه الامة وقوة هذه الأمة في اعتصامها بهذا الكتاب، ثم بيد الناس، إذا كانت هنالك اختلافات في هذا الدين فأنها من الرحمة وإنها من التنوع، وإنها من مايرد إلى الأصول، فيحسن هذه الأمة، وتعرفون أن القرآن هذا الكتاب الواحد رخص في قراءته بأكثر من قراءة والله تبارك وتعالى لم يضيق على هذه الأمة، بل تمارس عباداتها بطرائق مختلفة رحمة وتوسعة لهذه الأمة، لا ينبغي أن يترك للشيطان أن يستغل ذاك التنوع لتفريق الأمة وتشتيتها، نعم إن في بعض فرق هذه الأمة وطوائفها غلوا، هذا الغلو يحملهم على هذا التفرق، والغلو هذا دافعه الجهل، أو العلم القليل، وقد قرأت في كتب مشايخنا الأحناف رحمهم الله، في بعض مسائل الطهارة في الماء مثلما ذكره صاحب البحر الفارق، أن الكلب إذا وقع في البئر فمات وانتفخ فقد فسد ماء البئر، فأن عجن بذلك الماء خبز فأنه يلقى للكلاب أو يباع لرجل شافعي، وقرأت في نفس الكتاب أنه لا يجوز تزويج الشافعي من حنفية . لكن يجوز تزويج الحنفي بالشافعية، قال تنزيلا لها منزلة أهل الكتاب، مثل هذا الغلو ينبغي أن يرفع حتى تعود هذه الأمة إلى قوتها وإلى مصدرها، وحقيقة هذا ما ينبغي أن يذكره الناس في أمثال هذه المناسبات الطيبة لجمع وحدة الأمة، وللفرحة بذكرى مولد النبي (ص) وحفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام. ينبغي لهذه الأمة أن تجتمع وتتخذ مثل هذه المناسبات للتقريب.

وقد علمتم أن التفرق هو الداء، ونهى عنه القرآن فأمر الناس أن لا يتفرقوا، جالت بخاطري كلمة سمعتها في الفترة التي كان يفتي فيها شيخنا هذه الأبيات التي قالها شيخنا، ودعوته إلى التمسك بكتابها والالتفات إلى ما عندها من الخير

وإلى أن تنهض هذه الأمة مرة أخرى، وقد رأيت عامة الحضور بل جل الحضور في هذه الليلة الطيبة من الشباب فقلت:

نظمت اليوم شعرا في العتاب

وأرسل مـــا أقول إلى الشبـــاب

فما بعث الإله نبي صدق سوى الشبان

تنـــــــذر بالعقـــــــاب

لتحيـــــا في صباهم كالخليل

وعيسى مقسطاً بعـــد الغيـــاب

وهـــــاجر فتية للكهـــف آوو

فكانـــوا آيـــة للمستـــراب

وجاء المجتبى والكفر يزهـــــو

فاعلـــى الـــحق نورا كالشهاب

فحالفـــــه الشبـــاب وآزروه

وخالفـــــه الشيـــــوخ إذا تباب

فانتم مرتجى لجمع شمل غـــدا

بعـــد التشتت فـــي شعـــــاب

دويلات نسوا حظاً وصـــــاروا

إلـــــى حسـد وبغـض واغتيـــاب

فـــــلا عون على بـــر وتقوى

ولكـــن يعتـــــدون بلا اغتراب

ويلعـن بعضهـم بعضـــــأ جهارا

وتـــــــذهب ريحهم كـــــل الذهاب

وكلاً يدّعي وصلا بليلـــــــى

وليلـــــى قـــــــد تورات بالحجـــاب

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع كلمـة هذه الأمـة، ولا جمـع إلا بـأن تعود إلى هذا الأصـل وهـذا المعـين الصافي إلى كتـاب الله تبـارك وتعـالى وشـكر الله الاخوة المنظمين لهذا اللقاء خيرا.